

أحمد م. الأرب

درامات إسخيلوس

للأستاذ دريني خشبة

أقدم ما وصلنا سلباً من مآسي إسخيلوس هي درامته البارعة (نسوة متضرعات) وهي درامة شائعة لا يعرف في أي سنة نظمها الشاعر بالضبط ، وتليها في القدم درامة (الفرس) فقد نظمها سنة ٤٧٢ ق . م وفي سنة ٤٥٨ تقدم إلى المباراة التمثيلية بدرامة مفقودة ففاز عليه الشاعر الشاب سوفوكليس للمرة الأولى وكان لهذا الحادث أثره الذي لم يمنح من نفس إسخيلوس والذي قيل إنه هاجر بسببه إلى جيلا بعد ذلك بمشر سنتين وفي السنة التالية (٤٦٧) فاز على جميع منافسيه بدرامته (سبعة ضد طيبة) ، ولا يعرف المؤرخون على وجه التحقيق متى نظم رثمته المصماء (برومثير) ويظن الأستاذ جلبرت موراي أنها نظمت هي وأختها المفقودة (ليكورجيا) بعد (سبعة ضد طيبة) وقبل أن يموت في جيلا بعامين نظم أقوى دراماته وأعتفها (الأورستية) (٤٥٨ ق . م) وهي الثلاثية الوحيدة الكاملة التي وصلتنا سليمة من هذا التراث الأدبي الحافل المفقود

البيان في شعر أبي تمام طبيعية كألوان الحياة بالرغم من إغرابه ، ولم تكن كذلك الألوان التي وضعها القرد على ما لونه المصور في نقشه ورسمه ، وقد انتهز القرد فرصة انشغال سيد المصور بأمر من أمور الحياة . وقد أسف المغاربة أيضاً لموت محمد بن هاني الأندلسي في سن مبكرة وكانوا يأملون أن يعمر حتى يفاخروا به أكثر شعراء المشرق ، وكان لابن هاني بعض مقدره أبي تمام ولكنه لم تكن له - ثروته الشعرية في نفسه وكان كل منهما مولداً بشعر الحياة الذي يعاش . وجرأة أبي تمام في التشبيه والاستمارة والمجازي ما يصح أن يسمى بالجرأة الموقفة إلا في القليل من شعره ، وهي تشبه في المبارزة بالسيف نوعاً من الهجوم إذا أجاده البارز تثر سلاح خصمه وأصابه في الصميم وإذا أخطأ البارز في هيومه سقط وسلاح خصمه في قلبه ..

« البلية في العدد القادم » هجر الرمعي شكري

١ - نسوة متضرعات

نسوة متضرعات هي الحلقة الأولى من ثلاثية كاملة ما تزال حلقاتها الثانية والثالثة مفقودتين وإن يكن موضوعهما معروفاً .. والثلاثية كلها تتلخص في أن إيجيتوس أحد أمراء مصر الشمالية كان له خمسون ولداً ؛ وكان له أخ يدعى دانوس رزقه الله بمخمين ابنة ذوات جمال بارع ، حدث أن هام كل من أبناء إيجيتوس بواحدة من بنات دانوس ... وتقدم إيجيتوس إلى أخيه يخاطب بناته على أبنائه ... وهنا تقوم عقبان أولاهما تلك النبوءة التي تنبأ بها بعضهم لدانوس وهي أن أحد أزواج بناته سيقتله، وأنتهما أن شريعة القوم في هذا العصر كانت تحرم زواج الرجل من ابنة عمه وتعتبره زناً ... فاذا يصنع دانوس ؟ فكر الرجل ثم فكر ، ثم رأى أن يفر بيناته إلى بلاسجوس ملك أرجوس إحدى ممالك اليونان ... ودرست الفلك على الشاطئ ونزل الركب ، ولحقت إحدى البنات رجلاً عظيماً بادي الوقار يتزده هناك ، فلما سألت عنه قيل لها إنه الملك . فاستأذنت أباه وذهبت إليه تدعوه إلى والدها ورحب الملك بهؤلاء المحتمين به اللاتنين بظله وخصص لهم منزلاً رحباً وعيشة رغداً ... وأقبل قائد مصري بعد أيام يطلب تسليم دانوس وبناته الخمسين . فجمع الملك وزراءه ومجلس شوراه ، وجميع مواطني أرجوس يعرض عليهم الأمر فأبوا جميعاً أن يسلموا اللاتنين لما في صنع ذلك من منافاة النخوة وعدم الوفاء ... فيرند القائد المصري ، ويعود بعد أيام بجند كثيف فيغزو أرجوس ويقبض على دانوس وبناته ويعود بهن معززات مكرمات إلى مصر إلى هنا تنتهي الحلقة الأولى ... وقد سمي إسخيلوس درامته الثانية من هذه الثلاثية (فراش المرائس) أو (ماهدات فراش المرس) وفيها يتآمر دانوس وبناته على أن يقتلن أزواجهن لئلا المرس بعد أن يناموا على الأي يمكنهم منهن من شيء . وتنفذ البنات ما ماهدن عليه أبامن من هذا الإثم إلا هيبر مسترا^(١) التي استفظلت أن تريق دم هذا الجمال الشاب النائم المستسلم لها ، فوفقت تنظر إلى الخنجر المشحوذ مره ، وإلى ابن عمها الذي أحبته وهويته وأغرمت به مره أخرى فلم تريذا من أن توقظه ، وتبوح له بالسر الهائل ... وهنا يستيقظ القصر كله ، ويكون دانوس مرثقاً

(١) هكذا أثبتتها موراي وضيف كامل (نونا) بعد الميم

الإشارة التي اتفق مع بنائه عليها ليعلم أنهم قد قن بواجبهن وأنفذن ميثاقهن ، لكن لا يرى العلامة نبتق بالضوء من شبك هيرسترا فيرتجف ، ويسمع إلى الضججة فيحاول الهرب ، ولكن ابن أخيه^(١) ، وزوج ابنته الذي لم يقتل ، يفاجئه ثم يعالجه بضربة تقضى عليه فيأثر لإخوته وتنفيذ على يديه النبوءة .

ثم تبدأ الحلقة الثالثة التي سماها إسخيلوس ال (دانايديز Danaiides) أي بنات دانوس اللاتي يلقين جزاءهن في هيدز ويكلفن بملء وعاء كبير مثقوب من ماء نهر بعيد الغور وعمر المنحدر فكلا جئن بجرارهن وصبيها فيه ذهب الماء ولم يبق منه شيء ، فإذا جلسن يستجمعن صب عليهن وابل بارد فيهرعن إلى عملهن وهن ناصبات لاغيبات . أما هيرسترا فتقدم للحاكمة بتهمتين ، أما الأولى فمعيانها أباهما فيما أعطته عليه موافقتها ، وأما الثانية ، فزواجها من ابن عمها وهو زنا في نظر الشريعة المعمول بها حينذاك .

كيف حل إسخيلوس هذه العقدة ؟ وفي أي الجانبين يقف ؟ في جانب القاتلات ، أم في جانب الزوجة الوفية التي استنكرت القتل ؟ يبدو لنا أنه آثر أن يقف إلى جانب هيرسترا ، لأنه أتى لها بربة الحب فينوس (أفروديت) فشفعت له و برأت ساحتها . ولا ندرى هل عادت إلى زوجها أم حيل بينهما ... لم يذكر لنا التاريخ شيئاً من ذلك !

وتمتاز هذه الدراما بالإكبار من شأن الديمقراطية التي أبدتها الملك بلاسجوس عند ما جمع كل المسؤولين من رعاياه ليشاورهم فيما طلب قائد أبناء إيجبتوس ، كما تمتاز بهذه السخرية اللاذعة من تلك الشرمة الفاسدة التي كانت تحرم زواج البنت من ابن عمها وتعتبره زنا إذا تم .

٣ - الفرس

ودراما الفرس هي الحلقة الثانية من ثلاثية ماتزال أولها وثالثها مفقودتين ... والأولى عن البطل فينوس Phineus كاهن أسطول الأرجنوت الأعمى وباسمه تدعى . والحلقة الثالثة تدعى جلوكوزوهو الصياد الذي تحول إلى إله من آلهة البحار وأغرم بالهولة سكيلا . وقد جعل إسخيلوس مسرح هذه الدراما في سوسا وجعل

(١) واسمه لينبوس

جميع أبطالها من الفرس ، وفيها تبدو أتوسه أم أجزرسيس وزوجة دارا ، وهي تقص رؤيا منزعجة على بطانة من حاشيتها ، فأيكادون بطمشونها حتى يدخل رسول فيقص نبأ الهزيمة المنكرة التي منى بها أجزرسيس وأجناده في سلاميس ، وبذا تتحقق رؤيا أتوسه ، وتأمّر حاشيتها بتقديم القرابين لاستحضار روح دارا ... وتبدو روح الإمبراطور الراحل فتأخذ في سب أجزرسيس ، وتنتهي عليه طيشه وقلة بصره بمزالي السياسة ، وإقدامه على محاربة اليونان دون رجوع إلى أهل الرأي . ثم يدخل أجزرسيس فيأخذ هو الآخر في حزن طويل يشاطره إياه وزرأوه ومشيرو السوء الذين لم ينصحوا له بما كان يحول بينه وبين تلك الكارثة

والدرامة قطعة فنية رائعة ، وقد خدمت التاريخ ووصفت سلاميس وصفاً عجيباً عن الأتيان بمثل أبو التاريخ هيرودوتس . ولا غرو ، فقد حضر إسخيلوس سلاميس وجاهد فيها جهاد الأبطال ... غير أن قيمة الدراما في نأحيها الدستورية التي نرى فيها إسخيلوس على الاستبداد والمستبدين بقدر ما أكبر من شأن الحرية والشورى ... ومع أن الشاعر يرفع في ذمته هذه من شأن أئبنا فإنه لم يقلل من قدر المهزمين . بل هو قد أضنى على الفرس وقار العدو العظيم فلم ينتقص من شأنهم ولم يقده فيهم ، وبذا كان درامياً عادلاً

٣ - سبعة ضح طيبين

هذه الدراما هي الحلقة الثالثة من ثلاثية ماتزال حلقتها الأولى (لايبوس) والثانية (أوديبوس) مفقودتين . وتتلخص لايبوس وأوديبوس في هذه الأحداث المؤلمة التي حاقت ببيت لايبوس ملك طيبة وزوجته جوكاستا . فقد رويت لها نبوءة تقول إنه سيولد لها طفل يقتل أباه ويتزوج أمه ويقضى بالشقاء على ذريتهما . فلما ولد لها طفلها الوحيد بمثا به إلى الجبل ليقتله أحد رعاياها ، لكن الرجل أشفق على الطفل فتركه نمة وعاد بدم كذب على قبيصه وادعى أنه قتله . وعثر أحد القضاة على الطفل ملقاً في شجرة وقد ورمت قدماء ؛ فأخذوه وسماه أوديبوس : (أي ذا القدمين المتورمتين) . وشب أوديب وتعلم الفروسية في بلاط ملك كورنته . ثم حدث أن هجر البلاط لخلاف بينه وبين أحد الأمراء الذي غمزه في نسيه وهاجر إلى دلفي يستوحى الكهنة فيما غمزه به هذا الأمير . وقيل له

ابنتين^(١) أخريين نظمت فيهم جميعاً درامات كثيرة ... ويتفق الشقيقان على أن يتبادلا الحكم عاماً لكل منهما ، ولما ينتهي عام إنيوكليز ويقدم أخوه ليتسلم مقاليد الحكم يرفض شقيقه أن يسلمه إياه فيلجأ الآخر إلى أدرستوس ملك أرجوس يستنصره ويعرض أن يتزوج من ابنته، فيقبل الملك ويرسل مع صهره سبعة من قاده يقودون سبعة جيوش إلى طيبة ... ويستمر الحصار سبعة أعوام طوال دون أن يتلوا من طيبة قليلاً أو كثيراً وإن يكن الحصار قد أجهدا فيعرض القادة أن يطلب بولينيسيز مبارزة أخيه على أن يكون الفائز صاحب الحق في العرش، ويجيز إنيوكليز هذا الحل فيمضى إليه بقلب ثابت وجنان رابط وهو يعرف النتيجة ، لكنه يذهب في غير خوف لكي يريح طيبة من ويلات القتال ... ويلتق الشقيقان ، ويستمر النزاع ساعة ثم يضرب كل منهما أخاه فيسقطان معاً ويضرجان الأرض بدمائهما ... وبذلك تتخلص طيبة من كليهما كما تتخلص من نسل لايبوس وتتحقق النبوءة كلها

« للقال بقية »
دريتي هسية

(١) سوف نعود إلى كل ذلك في سوفوكليس

صدر كتاب

قافلة الأيام

بمساعدة

مجموعه من القصص المصري الحديث

تأليف

عبد اللطيف واكد

يباع بخسة قروش بجميع المكتبات بالعالم العربي

ومكتبة النهضة المصرية

إنه سيقتل أباه ويتزوج أمه ، ويجر الشقاء على أبنائه ... فانطلق والمم والحيرة يمزقان قلبه ... فبينما هو في طريقه إذا قائد عظيم يأمره أن يتنحى عن الطريق حتى يمر مولاه أولاً . فلم يتنحى أوديب وانقض على القائد فقتله . ثم جاءت عربة فنزل منها الحرس فنزلهم وقتلهم . ثم نزل منها رجل عجوز شيخ فنازله وقتله ، ولم يكن هذا الرجل سوى لايبوس الملك والد أوديب الذي كان ذاهباً إلى دلفي يستوحى كهنتها في أمر مما نزل بطيبة، وعم أوديب شطر طيبة فوجد الناس في فزع من أمرتين (سفنكس) يقف عند باب المدينة من جهة البحر بالرصاد لكل داخل أو خارج : يقول التينين « ما حيوان تكون له أرجل أربع في الصباح ، واثنان في الظهر وثلاث في المساء ؟ » فإذا لم يجب الشخص افترسه التينين في الحال .. وقد حار الناس في تأويل هذه الأحجية ، ونذروا لمن يخلصهم من التينين أن يتزوج ملكتهم الأرملة زوجه لايبوس وأن يتربع على عرش مملكتهم ... سمع أوديب أهل طيبة بهمسون بذلك ، وكان قد برم بحياته فاعتزم أن يلقى التينين فإما أن يقتله وينفذ طيبة من شره وإما أن يرحمه التينين من الحياة ... وأول أوديب الأحجية بأن الحيوان المقصود هو الإنسان بعينه، فهو يحب صغيراً على أربع ، ويدب شاباً على رجلين، ويتوكأ على عصا إذا بلغ به الكبر عتياً .. ثم انقض على التينين فقتله ، وبذا تربع على عرش طيبة وتزوج الملكة التي هي أمه وهو لا يدري ...

بذلك تحقق شطر النبوءة الأول ثم شطرها الثاني ... ثم يحتاج طيبة طاعون هائل ويذهب الناس إلى دلفي يستوحون كهنتها فيقال لهم إنه لا بد من القصاص من قاتل الملك لايبوس ليرتفع أذى الطاعون عن طيبة ... وهنا ينتشر الجواسيس والرقباء في كل فج يجمعون الأخبار ويتجسسون أبناء القاتل فيتبين أنه أوديبوس الجالس على عرش طيبة وأنه هو نفسه ابن لايبوس وابن الملكة جوكستا ... ويعترف الخادم الذي عهد إليه بقتل الطفل بأنه لم ينفذ ما أمر به ، فيذهل أوديب وينطلق إلى الغابة فيسمل عينيه ويهيم على وجهه حتى يموت

ثم تبدأ حوادث الدراما الثالثة (سبعة ضد طيبة) ... فقد ترك أوديب ولديه إنيوكليز وبولينيسيز^(١) يتنازعا العرش كما ترك

(١) تتبدل البن كالا أحياناً كما أنتها موراي وخالفه كامل وجرب

ويورا وجودين